منهج التلقي في القرآن الكريم والسنة النبوية

أ . د / مروان شاهين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله تعالى، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران : ١٠٢]

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء : ١]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [الأحزاب : ٧٠]

إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة،وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله، وأصحابه الأخيار، وأزواجه أمهات المؤمنين الأطهار، وعلى كل من سار على دربه، واقتفى أثره، وأحيا سنته إلى يوم الدين

أما بعد :

فإن الله تعالى لما أراد لهذه الأمة الهداية والتوفيق والرشاد أرسل إليهم رسوله ﷺ لكي يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، وقد جاء هذا النبي العظيم ﷺ ومعه النور الذي تستضيئ به هذه الأمة، وتستبين به أمر رشدها، وهو القرآن العظيم قال تعالى:" قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [المائدة ١٥: ١٦]" .

وقال تعالى:" وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرض أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣) " الايتين ٥٢:٥٣ سورة الشورى.

" وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه :" مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [1]

وقد أوجب الله تعالى على الأمة العمل بما جاء في هذا القرآن الكريم، وألا يعدلوا عنه إلى غيره أبدا ولو في بعض شؤونهم فقط، فقال تعالى في آيتين متتاليتين من سورة المائدة :" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ .." المائدة ٤٨ . وقال تعالى :" وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ [المائدة : ٤٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

كما أوجب الله تعالى في القرآن الكريم طاعة نبيه ﷺ في أكثر من أربعين آية في كتاب الله عز وجل، من ذلك قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء : ٥٩]

ومن ذلك قوله تعالى مقسما بذاته الشريفة على وجوب طاعة رسول الله ﷺ :" فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء : ٦٥]

وقوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا "الحشر ٧

وجاءت أحاديث نبوية كثيرة توجب على الأمة طاعة رسول الله ﷺ، والعمل بما أمرهم به، والانتهاء عما نهى عنه . وذلك مثل قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :" ... فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ " .[2]

---

[1] – رواه البخاري في صحيحه ك القرآن باب كيف نزل الوحي وأول مانزل ٤/ ١٩٠٥ ، ورواه ايضا في ك الاعتصام باب بعثت بجوامع الكلم ٦/ ٢٦٥٤.

[2] أخرجه البخاري ك الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/ ٣٦٣٢. ومسلم في ك الفضائل باب توفيره صلى الله عليه و سلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك ٤/ ١٨٢٩.

وقوله ﷺ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ :" قَالَ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِّ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى " .[1]

إن هذه النصوص – وغيرها كثير – تؤكد أن شرع هذه الأمة ومنهاجها الذي تدين لله تعالى به إنما يستمد من القرآن الكريم الذي يحمل بين آياته شرع الله الذي ارتضى لعباده، ويستمد أيضا من سنة رسول الله ﷺ التي تبين للناس ماجاء في القرآن الكريم، كما قال تعالى :" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل : ٤٤] .

كما أن السنة النبوية المشرفة – فوق ماذكرنا من مهمة البيان – إنما تشرع للناس أحكاما لم يسبق لها ذكر في القرآن الكريم، فهي تبين القرآن الكريم، وهي تشرّع معه، وهما معاً –القرآن والسنة – المصدران التشريعيان المتلازمان اللذان لا ينفكان أبدا، ومنهما نأخذ دين الله الحنيف .

والقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، لأنه كلام الله تعالى الذي نزل إعجازا، وتحديا، وإثباتا لصدق رسالته ﷺ، والسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله تعالى .

ولما كان القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذه المنزلة السامية العالية الشريفة فإن الأمة الإسلامية المباركة قد عرفت لهما تلك المنزلة الخطيرة، فوضعت منهجا محكما لكيفية تلقي القرآن الكريم، وكيفية تحمل الحديث النبوي الشريف، وفي هذا البحث نعالج قضية التلقي للقران الكريم، وتلقي الحديث النبوي الشريف، مع المقارنة بين المنهجين العظيمين .

وقد قسمنا هذا البحث إلى مجموعة من النقاط التالية :

*أهمية القرآن الكريم والسنة المطهرة . وقد تحدثنا عن ذلك في المقدمة .

*حث النبي ﷺ الأمة على حفظ القرآن الكريم، وعلى حفظ الحديث الشريف، وتبليغ كل جيل لمن بعده بالقرآن والسنة إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

*أهمية الرواية .

*ضرورات الرواية : الشرعية والواقعية والعقلية .

---

١ ك الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/ ٣٦٣٢.

*مفهوم التلقي لغة واصطلاحا .
*منهج التلقي بين القرآن والسنة .
*الوحي وصوره .
*مقارنة بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في صور الوحي
*كيف تلقى الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم
*كيف تلقى الصحابة رضوان الله عليهم السنة المطهرة :
*مفهوم التحمل والأداء بين القرآن والسنة .

- **حث النبي ﷺ الأمة على حفظ القرآن الكريم، وعلى حفظ الحديث الشريف، وتبليغ كل جيل لمن بعده بالقرآن والسنة إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .**

لأهمية القرآن الكريم والسنة المطهرة، لأنهما هما المصدران الأساسيان للتشريع في الإسلام حث النبي ﷺ أصحابه على حفظ القرآن الكريم، وتناقله فيما بينهم، وكذلك حث ﷺ على تبليغ السنة المطهرة، حيث قال ﷺ آمرا بالاهتمام بالقرآن الكريم أولا فقال ﷺ :

"خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" وفي لفظ آخر :" إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"[١] .

وعن طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا آوْصَى النَّبِيُّ ﷺ ؟ فَقَالَ : لَا، فَقُلْتُ : كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ أُمِرُوا بِهَا وَلَمْ يُوصِ ؟ قَالَ : أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ "

كما حث النبي ﷺ على كثرة قراءة القرآن الكريم مع حفظه والعمل به فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ : الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ، أَوْ خَبِيثٌ - وَرِيحُهَا مُرٌّ.[٢]

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :" لاَ حَسَدَ إِلاَ عَلَى اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَار" [٣].

ومن شدة اهتمام النبي ﷺ بالقرآن وضرورة حفظه وتلاوته جعل حفظ القرآن الكريم هو المعيار الأول في قياس أفضلية المؤمن، وتقدمه في الولايات العامة، وعلى

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ك فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤ / ١٩١٩.

[٢] – أخرجه البخاري في صحيحه ك فضائل القران باب إثم من راءى بقراءة القران أو تأكل به . ٤/ ١٩٢٨.

[٣] – أخرجه البخاري في صحيحه ك فضائل القران باب اغتباط صاحب القرآن . ٤/ ١٩١٩.

رأسها إمامة الصلاة، ومن ذلك قوله ﷺ من حديث أَبِى مَسْعُودٍ الأَنْصَارِىِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِى الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِى السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِى الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا...[١]

كما أن ترتيب اللحد في القبر يكون على حسب حفظ الموتى لكتاب الله، فيتقدمهم أكثرهم حفظا، وقد حدث ذلك في غزوة أحد، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ : أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ .[٢]

كما أن النبي ﷺ جعل حفظ القرآن الكريم أو بعضه صداقاً لمن لا يملك المال، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ : إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا للَّهِ وَلِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ : مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ : زَوِّجْنِيهَا، قَالَ : أَعْطِهَا ثَوْبًا، قَالَ : لاَ أَجِدُ، قَالَ : أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ : مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا، قَالَ : فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ.[٣]

كما أن حفظ القرآن الكريم صار هو الأساس الأقوى الذي يقاس عليه حفظ السنة المطهرة، فكان ﷺ إذا أراد منهم أن يشتد اهتمامهم بأمر ما علمه إياهم كما يعلمهم السورة من القرآن، ومن ذلك ما ورد في حديث الاستخارة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ ... "[٤]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القرآن .

---

١ عند مسلم في صحيحه ك المساجد باب من أحق بالامامة (٢ / ١٣٣) ورواه البخاري تعليقا ك الجماعة والامامة باب إمامة العبد والمولى ١/ ٢٤٥.

٢ البخاري ك الجنائز باب الصلاة على الشهيد .١/ ٤٥٠.

٣ – أخرجه البخاري في صحيحه ك فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٤/ ١٩١٩.

٤ البخاري ك أبواب التطوع باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى . (١ / ٣٩١).

وعن ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال :" عَلَّمَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّشَهُّدَ كَفِّى بَيْنَ كَفَّيْهِ كَمَا يُعَلِّمُنِى السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ" [١]

وهذا المنهج النبوي الذي اتبعه النبي ﷺ في تعليم الصحابة وحثهم على شدة العناية بحفظ القرآن الكريم، والمحافظة عليه، أثمر ثمرته اليانعة في رواياتهم للسنة أيضا، فصاروا يحافظون على لفظ الحديث النبوي وعدم التغيير والتبديل فيه كما يحافظون على لفظ القرآن الكريم .

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ : « بُنِىَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ ». فَقَالَ رَجُلٌ: الْحَجِّ وَصِيَامِ رَمَضَانَ، قَالَ : لاَ، صِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ. هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-. [٢]

فنجد ابن عمر رضي الله عنهما لم يحافظ على اللفظ النبوي فقط، بل حافظ على ترتيب الأركان والجمل كما ذكرها النبي ﷺ .

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ :- اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ:- فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ : وَرَسُولِكَ قَالَ : لاَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. [٣]

الحث على تبليغ القرآن والسنة :

كما حث رسول الله ﷺ على تبليغ القرآن والسنة، وذلك في قوله ﷺ :" من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. [٤]

وقال ﷺ:في حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه :" ليبلِّغْ الشاهدُ الغائبَ " [١]

---

[١] أخرجهما مسلم ك الصلاة باب التشهد في الصلاة (٢ / ١٤)

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ك الايمان باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ١/ ٤٥.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ك الوضوء باب فضل من بات على الوضوء . ١/ ٩٧.

٤ البخاري ك الانبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/ ١٢٧٥.

ومن حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : قال رسول اللهِ ﷺ« تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ »[٢].

وقوله ﷺ :" تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ " هو خبر يقصد به الأمر أي : لتسمعوا مني الحديث، وتبلغوا عني لمن بعدكم، ويتولى من بعدكم تبليغ من بعدهم، وهكذا يستمر التلبيغ في حلقات متواصلة إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" سمعت النبي ﷺ يقول : نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ.." [٣].

وهكذا أمر النبي ﷺ أمته أن تجتهد في حفظ القرآن والسنة، وأن يقوم كل جيل بتلبيغها إلى من بعده حتى يسيرا في حلقات متواصلة، وحتى يظلا في حفظ وصيانة وتعهد إلى يوم القيامة .

أهمية الرواية :

وهذا الأمر النبوي بحفظ القرآن والسنة وتبليغهما يقتضي التبليغ الذي يصبح واجبا على كل قادر عليه، فيجب على الأمة أن تبلغ القرآن الكريم، وأن تبلغ حديث رسول الله ﷺ، والقيامُ بواجب التبليغ يقتضي الاهتمام بالرواية، لأن الرواية هي : أن يقوم كل جيل بتبليغ القرآن والسنة إلى الجيل الذي بعده، مباشرة بدون انقطاع .

وإذا كان النبي ﷺ مكلفاً من الله تعالى بتبليغ دين الله لكل الأمة إلى يوم القيامة، فإن ذلك يقتضي قسمة عقلية مفادها :

أ- أن يذهب النبي ﷺ إلى كل الناس فردا فردا ليبلغهم بكل ماجاء به حرفا حرفا، وهذا مستحيل بداهة في العقل وفي الواقع .

ب- وإما أن يذهب الناس كافة إلى رسول الله ﷺ ليتفرغوا عنده جميعا، ويسمعون منه، ويتحملون عنه كل ما جاء به، وهذا مستحيل في زمانه ﷺ، فضلا عن استحالته الأشد لمن جاءوا بعده، فإنه يستحيل أن يلتقي بهم بعد انتقاله إلى الرفيق

---

١ البخاري ك المغازي باب حجة الوداع ٤/ ١٥٩٩.

٢ أخرجه أبوداود بإسناد صحيح في سننه ك العلم باب فضل نشر العلم ٢/ ٣٤٦. وأحمد في مسنده ٥/ ١٠٤. وقال محققوا المسند : إسناده صحيح . وابن حبان في صحيحه ك العلم باب ذكر الإخبار عن سماع المسلمين السنن خلف عن سلف ١/ ٢٦٣.

٣ أخرجه الترمذي في سننه ك العلم باب الحث على تبليغ السماع ٥/ ٣٤ وقال :هذا حديث حسن صحيح.

الأعلى .

ت- وبقي الاحتمال الثالث وهو الاحتمال الأيسر والأمكن عقلا وواقعا : وهو أن يقوم كل جيل بحمل الأمانة عن الجيل الذي قبله ثم يؤديها بعد ذلك إلى الجيل الذي بعده، وهذا ماحدث، ومن ثم صارت للرواية ضرورات شرعية وعقلية وواقعية .

ضرورات الرواية الشرعية، والعقلية، والواقعية :

فمن الناحية الشرعية يتوقف تعليم الشرع على تبليغه، فمن شروط التكليف بلوغ الدعوة، ومن لم تبلغه الدعوة يكون غير مكلفٍ، والأمة تكون آثمةً إذا تمكنت من التبليغ ولم تقم به، فإن الرسول ﷺ في الأحاديث سالفة الذكر قد حثهم على التبليغ :" ليبلغ الشاهد الغائب .. الخ، وقد خاطبه ربه سبحانه بقوله :" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " [المائدة : ٦٧]، والعلماء يقولون : إن كل خطاب للنبي ﷺ إنما هو خطاب للأمة كلها، إلا ما قام الدليل على أنه من خصائصه ﷺ، ومن هنا كان التبليغ واجبا على الأمة في مجموعها، وعلى رأس ذلك كله تبليغ القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ومن ثم يصبح تبليغ القرآن والسنة واجباً شرعيا على كل قادر عليه .

أما الضرورة العقلية : فلأن العقل يقضي أن تكون الرواية هي الوسيلة الوحيدة لتلقي الأجيال بعضهم عن بعضهم، كل علوم الشرع، من قرآنٍ وسنةٍ، بل كل الأخبار والأحوال، حتى لا يضيع الشرع، ولا يستقيم في العقل وجود وسيلة أخرى للمحافظة على القرآن والسنة وسائر العلوم إلا بتناقلها بين الأجيال، وطريق ذلك هو الرواية .

وهناك ضرورة واقعية :حيث إن الناس جميعا يحتاجون إلى القرآن والسنة للاحتكام إليهما في كل شأن من شؤونهم، تنفيذا لأمره سبحانه وتعالى [1] بضرورة الاحتكام إلى القرآن والسنة كما في قوله سبحانه وتعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء : ٥٩]، وقوله تعالى :" فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا

[1] – سبق ذكر الآيات من سورة المائدة في هذا الشأن .

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " [النساء : ٦٥]، وهكذا أصبحت الرواية ضرورة واقعية، كما هي ضرورة شرعية، وعقلية، حتى يصل البلاغ إلى الناس جميعا في كل مكان وزمان، وتقوم الحجة عليهم بتبليغهم دين الله تعالى .

تعريف الرواية :

الرواية هي : أن يتلقى كل جيل عن الجيل الذي قبله،وأن يؤدي الأمانة كاملة غير منقوصة، بدون زيادة، أو نقصان، أو تحريف، أو تغيير، أو تبديل، والرواية بهذا المعنى لها جانبان :

الأول : التلقي عمن قبلنا، وهو ما يعرف عند علماء القرآن بالتلقي، ويعرف عند علماء الحديث بالتحمل .

الثاني : الأداء لمن بعدنا وهو مايعرف بالأداء .

وهذا الأمر يقوم به العلماء المتخصصون في كل جيل، الذين هيأهم الله تعالى لأداء تلك المهمة .

مفهوم التلقي لغة واصطلاحا

مادة لَقِيَ في اللغة لها معانٍ متعددة، والذي يهمنا منها هو مايفيد التلقي، وتلقاه بمعنى استقبله، وفلان يتلقى فلانا أي يستقبله، والرجل يُلَقَّى الكلام أي يُلَقَّنه،

وقوله تعالى :" إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ [النور : ١٥] " أي يأخذ بعضكم عن بعض

وقوله تعالى :" فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ [البقرة : ٣٧] " أخذها عنه، وقيل تعلمها ودعا بها

وقال تعالى :" وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ [القصص : ٨٠] " أي ما يعلمها وينبه عليها إلا الصابرون،وفي القرآن الكريم :" وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ [النمل : ٦] " أي يلقى إليك وحياً من عند الله تعالى، ويقال تلقى فلان الشيء عن فلان أو من فلان أي أخذه منه [١] .

وهكذا نرى أن كلمة التلقي من بين معانيها أخذ العلم عن الغير، سواء كان هذا العلم وحيا تلقاه المصطفى ﷺ عن ربه بواسطة الوحي بكل صوره، أو يتلقاه التلاميذ عن شيوخهم جيلا بعد جيل، إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

[١] – انظر مادة لقا في لسان العرب .٥/ ٤٠٦٤ . ومابعدها . ط دار المعارف والمعجم الوسيط ٢/ ٨٦٩.

فإذا انتقلنا إلى التلقي بالمعنى الاصطلاحي فسنجد التلقي في القرآن له معنى، والتلقي في الحديث له معنى لايتعارض مع معنى التلقي في القرآن، وإن كان يختلف عنه في بعض التفاصيل .

أما التلقي عند أهل القرآن : فهو أخذ القرآن عن الشيوخ الذين أتقنوا حفظه، وأجادوا تلاوته .

وهذا التلقي للقرآن الكريم يشمل:- الأداء أمام المشايخ، والعرض عليهم .

وفي معجم مصطلحات علم القراءات القرءانية قال : الأداء في اللغة : يدل على الإيصال، وفي الاصطلاح : قراءة القرآن وروايته عن المشايخ بعد الأخذ عنهم، فهو شامل للتلاوة تعبدا وفكرا، وللعرض على الشيخ، ولتلقين الشيخ طلبَتَه القرآن ورواياته .[١]

والعرض على الشيوخ يعرفه الشيخ إبراهيم الدوسري فيقول : العرض : تلاوة القرآن على الشيخ، وهو أحد أنواع طرق التحمل والأخذ عن المشايخ .[٢]

وهكذا نجد تلقي القرآن الكريم يدور بين الأمرين : السماع من الشيوخ، والعرض عليهم .

وأما التلقي عند أهل الحديث : فهو عبارة عن تحمل الحديث من الشيوخ، ثم أداؤه بعد ذلك للتلاميذ، وله طرق ثمانية، ولذلك مبحث واسع عند المحدثين تناولوه بتفصيلات كثيرة، وشروط متعددة، تحت عنوان : التحمل والأداء .[٣]

---

[١] – معجم مصطلحات علم القرءات القرانئة . د/ عبد العلي المسؤول . الطبعة الثانية / دار السلام .

[٢] – معجم المصطلحات في علم التجويد والقراءات .

[٣] – وللتحمل والأداء عند المحدثين طرق ثمانية وهي :

السماع من لفظ الشيخ : سواء حدث من كتابه أو من حفظه ، إملاء أو غير إملاء في الصورتين .

القراءة والعرض على الشيخ : بمعنى أن القارئ يعرض على الشيخ ، كما يعرض القرآن على المقريء.

الإجازة : هو أن يجيز الشيخ التلاميذ الرواية عنه، سواء في مسموعاته كلها ، أو بعضها ، ولها صور متعددة.

المناولة : إعطاء الشيخ الطالب شيئا من مروياته ، مع إجازته به صريحا أو كناية .

المكاتبة : تكون بخط الشيخ نفسه وهو أعلى ، أو بإذنه في الكتابة عنه لثقة غيره ، سواء كان لضرورة أم لا ، وسواء سئل في ذلك أم لا ، لغائب عنه في بلد آخر أو قرية أو نحوهما.

قال الإمام جلال الدين السيوطي في الإتقان متكلما عن الفرق بين التحمل والأداء بين القرآن والسنة :

" وأوجه التحمل عند أهل الحديث : السماع من لفظ الشيخ، والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة، والإجازة، والمكاتبة، والوصية، والإعلام، والوجادة، فأما غير الأولين فلا يأتي هنا[1] لما يعلم مما سنذكره، وأما القراءة على الشيخ : فهي المستعملة سلفا وخلفا، وأما السماع من لفظ الشيخ: فيحتمل أن يقال به هنا، لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي ﷺ، لكن لم يأخذ به أحد من القراء، والمنع فيه ظاهر، لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته، بخلاف الحديث فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن، وأما الصحابة رضي الله عنهم فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي ﷺ، لأنه نزل بلغتهم . ومما يدل للقراءة على الشيخ عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل في رمضان كل عام، ويُحكَى أن الشيخ شمس الدين بن الجزري لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة، فلم يكتف بقراءته" .٢

الإعلام : إعلام الشيخ الطالب ان هذا الكتاب سماعه من فلان من غير أن يأذن له في الرواية عنه .

الوصية : أن يوصي الشيخ عند سفره أو إذا حضرته الوفاة لشخص معين بكتاب له كان يرويه .

الوجادة : ما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة ، فيروي الطالب ماوجده على سبيل الحكاية كأن يقول وجدت في كتاب فلان ، أو قرأت في كتاب فلان ويذكر شيخه وسائر الإسناد والمتن .

يراجع مبحث التحمل والأداء في كل كتب المصطح ومنها : مقدمة ابن الصلاح لأبي عمرو ابن الصلاح ، النكت على مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر، تدريب الراوي للامام السيوطي ، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للإمام السخاوي .

[1] يقصد السيوطي رحمه الله تعالى أن السماع من لفظ الشيخ والقراءة على الشيخ هما فقط الوسيلتان المعتمدتان في قرءاة القرآن الكريم .

[2] – : الإتقان في علوم القرآن – (١ / ٢٦٤)

وهكذا نرى السيوطي رحمه الله تعالى يقْصُرُ التحمل في أخذ القرآن الكريم على وسيلتين فقط، وهما : السماع من لفظ الشيخ، والعرض على الشيخ، مع ترجيحه للعرض أكثر من السماع، بل قال عن وسيلة العرض : إنها هي المعتمدة سلفاً وخلفاً .

ونبدأ الآن في المقارنة بين التحمل والأداء، أو بين تلقي القرآن الكريم وتلقي السنة المشرفة .

فنبدأ بتلقي النبي ﷺ لكلٍ منهما عن الله تعالى :

تلقي النبي ﷺ عن الله تعالى كان بوحي الله تعالى له قرآنا وسنة، والوحي في اللغة : معناه : الإعلام في سرعة وخفاء، وقد يطلق على الاشارة، والكتابة، والرسالة، والالهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، فمن الإشارة قوله تعالى :" فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) [مريم : ١١] أي أشار إليهم، ومن الإلهام قوله تعالى :" وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ [النحل : ٦٨]" أي ألهمها، ويستعمل ثلاثيا ورباعيا فيقال أوحى ووَحَى، وأوحيت ووَحَيْت، لكن قال العيني : الأولى أفصح أي الرباعي، وبها ورد القرآن الكريم في كل الاستعمالات، وقد يطلق على المُوحَى فنقول :القرآن وحي من عند الله، أي موحَى به من عند الله تعالى .

والوحي شرعا :الإعلام بالشرع، أو هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

صور الوحي :

وللوحي صور كثيرة منها :

أن يأتي الملك على هيئته الملكية، روى البخاري ومسلم من حديث مسروق رحمه الله قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : فَأَيْنَ قَوْلُهُ{ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى }قَالَتْ ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الْأُفُقَ.[١]

وفي جزء من حديث عائشة عند البخاري :" وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ .

---

[١] رواه البخاري ك بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين ومسلم في ك الإيمان باب معنى قوله تعالى " ولقد رآه نزلة أخرى " .

ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري :" أن النبي ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ.[١] .

ومنها أن يأتي الملك على هيئة رجل معروف – الصحابي الجليل دِحْيَةَ الكلبي – كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما :- أَنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - أَتَى النَّبِيَّ ﷺوَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ :- مَنْ هَذَا ؟ أَوْ كَمَا قَالَ : قَالَ قَالَتْ : هَذَا دِحْيَةُ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : ايْمُ اللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ .[٢]

ومنها أن يأتي على هيئة رجل لا يعرفونه : كما في حديث جبريل المشهور، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى بسنده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : صحيح مسلم ـ مشكول وموافق للمطبوع - (١ / ٢٨)

بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ ». قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِى « يَا عُمَرُ

---

[١] – أخرجه البخاري في صحيحه ك التفسير باب تفسير سورة النجم ٤/ ١٨٤٠.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه : ك فضائل القرآن باب كيف نزول الوحي وأول مانزل . ٤/ ١٩٠٥.وأم سلمة رضي الله عنها ظنت أنه الصحابي الجليل دحية رضي الله عنه وظلت على هذا الاعتقاد حتى سمعت النبي ﷺ يخبر أنه جبريل .

أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ ». قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ».[١]

ومنها أن يأتيه أحيانا مثل صلصلة الجرس : روى البخاري رحمه الله بسنده أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ ")

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.[٢]

ومنها النفث في الرُوع، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلاَّ قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوْعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمَ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي الله، فَإِنَّهُ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَ الله إِلاَّ بِطَاعَتِهِ.[٣]

ومنها الوحي في المنام : كما في قوله تعالى :" لقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقّ" الفتح : ٢٧] -، وفي ذلك أحاديث كثيرة رآها النبي ﷺ مناما وكانت وحياً من الله تعالى، وكانت مضمنة لبعض الأحكام الشرعية في بعض الرؤى .[٤]

ومنها تكليم الله تعالى لنبيه ﷺ بلا واسطة، وفي اليقظة من وراء حجاب، كما حدث لسيدنا رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، وكما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى :" وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا [النساء : ١٦٤] " .

---

١ مسلم ك الايمان باب بيان الاسلام والايمان والاحسان ١/ ٣٦.

٢ ك بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .١/ ٤.

٣ رواه الشافعي في المسند مختصرا من رواية المطلب بن حنطب مرفوعا ص ٢٣٣. وابن أبي شيبة في المصنف ٣٤٣٣٢. وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة ٢٨٨٦.

٤. راجع ك التعبير في صحيح البخاري وكتاب الرؤيا في صحيح مسلم وغيرهما من كتب السنة .

هذا وللوحي صور أخرى كثيرة غير ذلك .

وقد اختص الله تعالى القرآن الكريم بصورة واحدة من صور الوحي، وهي : أن يتلقى الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام مباشرةً في اليقظة، وليس في المنام، قال تعالى :" وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ *" [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٦]

وقال سبحانه :" وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرآن مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * [النمل ٦]

وقال تعالى :" لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * [القيامة : ١٦ - ١٩]

قال القرطبي رحمه الله تعالى معلقا على آيات سورة الشعراء :" لأن المعنى وإن القرآن لتنزيل رب العالمين، نزل به جبريل إليك، كما قال تعالى:" قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ" أي يتلوه عليك فيعيه قلبك. وقيل: ليثبت قلبك.[١]،

وقال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى : { لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } أي: أنزله الله عليك وأوحاه إليك.[٢]

وقال البغوي في تفسيره : "وإنه لتنزيل رب العالمين". { عَلَى قَلْبِكَ } يا محمد ﷺ حتى وعيته .[٣]

وقال الرازي : ومعنى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ جعل اللهَّ الروح نازلا به عَلى قَلْبِكَ، أي حَفَّظَكَهُ وفهمك إياه، وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى، كقوله تعالى : "سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى" [الأعلى : ٦][٤].

وفي الحديث الشريف :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القرآن، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.[٥]

---

١ - تفسير القرطبي - (١٣ / ١٣٨)

٢ تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٦ / ١٦٢)

٣ تفسير البغوي - (٦ / ١٢٨)

٤ - مفاتيح الغيب ـ نسخة محققة - (٢٤ / ٥٣٠)

٥ - البخاري ك بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

وحديث فاطمة عليها السلام :" إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ "[١].

إن هذه الأدلة كلها – من القرآن والسنة – تدل على أن رسول الله ﷺ كان يتلقى القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام، وكان هذا التلقي من لفظ جبريل عليه السلام، وبعد ذلك يعرضه رسول الله ﷺ على جبريل عليه السلام، فيكون التلقي حين إذٍ قد جمع بين الأخذ عن الشيخ، والعرض عليه .

وقد عصم الله تعالى القرآن الكريم من التعرض للشبهات، حين اختار له وسيلة واحدة من وسائل الوحي، وهي التلقي المباشر عن جبريل عليه السلام في اليقظة، لأنه لو تلقاه ﷺ مناما مثلا أوبعضه فربما قال قائل :إن ذلك من أضغاث الاحلام . أو تلقى منه شيئاً عن طريق النفث في الرُوع فيزعم الزاعم أن ذلك من خطرات النفس، فصان الله تبارك وتعالى كتابه العزيز عن كل الشبهات المتعلقة بالوحي، كما أن هذه الوسيلة هي الوحيدة المعتمدة في تلقي القرآن الكريم إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيتلقاه التلاميذ مباشرة في حال اليقظة من أفواه الشيوخ بلا أي واسطة، فيظل يتلقاه الملايين عن الملايين منذ أن أخذه رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، وهكذا تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ وهكذا إلى قيام الساعة، وهذه أتم صورة، وأقوى وسيلة لحفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل، أو النقص والزيادة .

أما السنة النبوية – وهي وحي من عند الله تعالى أيضا – فقد تلقاها النبي ﷺ بكل وسائل الوحي المذكورة آنفاً[٢].

كيف تلقى الصحابة القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ

أخذ الصحابة الكرام القرآن عن رسول الله ﷺ مباشرة بلا واسطة بالأخذ بواحدة من وسيلتين :

- الأخذ من فمه الشريف ﷺ :

---

[١] – صحيح البخاري ك المناقب باب علامات النبوة في الاسلام (٣/ ١٣٢٦)

[٢] – لم نتوسع في ذكر الأمثلة هنا في تعدد وسائل الوحي وصوره في تلقي النبي ﷺ السنة النبوية عن طريق الوحي اعتمادا على الأمثلة المذكورة .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي : أَرْسِلْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اقْرَأْ فَقَرَأَ، قَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ لِي : اقْرَأْ، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ : هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ.[١]

وعن شَقِيق بْن سَلَمَةَ قَالَ خَطَبَنَا عَبْدُ الله بن مسعود فَقَالَ:- وَاللهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ الله ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ الله، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ [٢] .

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَقَالَ كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَمُدُّ بِبِسْمِ الله، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ.[٣]

- وأحيانا كان يسمع ﷺ القرآن من أصحابه :

فعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ : آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قَالَ :فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي،فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا} قَالَ أَمْسِكْ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ..[٤]

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لأُبَيٍّ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا} قَالَ :- وَسَمَّانِي؟، قَالَ :- نَعَمْ، فَبَكَى..[٥]

وهذه الأحاديث فيها جملة من الفوائد منها : استحباب قراءة القران الكريم على الحذاق المهرة، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، ومنها أن تستن الأمة بذلك في القراءة على أهل الفضل والاتقان، كما أن فيها استحباب استماع القراءة، والإصغاء

---

[١] أخرجه البخاري ك فضائل القرآن باب أنزل القران على سبعة أحرف ٤/ ١٩٠٩.

[٢] أخرجه البخاري ك فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٤/ ١٩١٢.

[٣] أخرجه البخاري ك فضائل القرآن باب مد القراءة ٤/ ١٩٢٥.

[٤] أخرجه البخاري ك فضائل القرآن باب من أحب أن يسمع القران من غيره ٤/ ١٩٢٥.

[٥] أخرجه البخاري ك فضائل الصحابة باب مناقب أبي بن كعب ٣/ ١٣٨٥. وك التفسير باب سورة البينة ٤/ ١٨٩٧.

لها، وتدبرها، والبكاء عندها، كما أن في الأحاديث استحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، وهو أبلغ في التفهيم والتدبر من قراءته بنفسه، وفيها تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم .[١]

ومن وسائل تلقي الصحابة للقرآن أيضا : أن يأخذ بعضهم عن بعض عرضاً وسماعاً، وقد حثهم رسول الله ﷺ على ذلك وأرشدهم إليه، فعند الشيخين من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فعنْ مَسْرُوقٍ قَالَ ذُكِرَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ :- مِنَ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيٍّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

وعند مسلم :" عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ كُنَّا نَأْتِى عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرٍو فَنَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ - وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ عِنْدَهُ - فَذَكَرْنَا يَوْمًا عَبْدَ اللهَّ بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ : لَقَدْ ذَكَرْتُمْ رَجُلاً لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَىْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ « خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ - فَبَدَأَ بِهِ - ... الحديث [٢] .

ولذلك نجد أصحاب القراءات قد أسند كل واحد قراءته التي اختارها إلى أحد الصحابة الكرام رضي الله عنهم ممن قرأ على رسول الله ﷺ أو على أحد من الصحابة الاخرين الذين أخذوا عن رسول الله ﷺ، وأسانيد هؤلاء القراء متصلة إلى رسول الله ﷺ .

تلقي الصحابة رضي الله عنهم للحديث الشريف :

أما تلقي الصحابة للحديث، فقد كان بوسائل كثيرة منها :

السماع من لفظ سيدنا رسول الله ﷺ، ويعبر الصحابي حينئذ بقوله :" سمعت رسول الله ﷺ يقول " ومن أوضح الأمثلة على ذلك الحديث الذي بدأ به الإمام البخاري رحمه الله تعالى صحيحه، قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللهَّ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ،

---

[١] - نور اليقين في السند وتحمل كتاب الله المبين .

[٢] - اخرجه البخاري في ك فضائل الصحابة باب مناقب أبي بن كعب ٣/ ١٣٨٥ . ومسلم ك فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه ٤/ ١٩١٣ ..

يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ..

وأحيانا كان يسمع بعضهم من بعض، ثم يرفع الحديث إلى النبي ﷺ من غير أن يذكر الصحابي الواسطة وذلك ما يعرف عند المحدثين بمرسل الصحابي[١] وهو مقبول عندهم باتفاق، وقد أخرج الحاكم، والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال : « ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله ﷺ، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فيحدث الشاهد الغائب »[٢]، وعند الحاكم أيضا، والطبراني في المعجم الكبير، من حديث أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ : وَاللهِ مَا كُلُّ مَا نُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَمِعْنَاهُ مِنْهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يَكْذِبُ بَعْضُنَا بَعْضًا.[٣]

فهذا يدل على أن بعض الصحابة أحيانا يأخذ الحديث من الصحابي الذي سمعه من النبي ﷺ .

وكانوا يتناوبون حضور مجلس رسول الله ﷺ لكي لايفوتهم شيء من الوحي، والذي حضر المجلس مع النبي ﷺ يحدث أخاه الذي لم يحضر بما حدث، فقد روى البخاري رحمه الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو حديث طويل وفيه :" وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِذَا غِبْتُ أَتَانِي بِالخَبَرِ، وَإِذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا آتِيهِ بِالخَبَرِ .. " الحديث[٤]

وكانت لهم صحف سجلوا فيها مسموعاتهم من رسول الله ﷺ، وكانوا ينقلونها إلى تلاميذهم، بل كانوا يدفعونها أحيانا إليهم لينقلوا ما فيها، فعند البخاري من حديث أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ : قُلْتُ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه : هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ ؟ قَالَ : لاَ، إِلاَّ

---

[١] – مرسل الصحابي : هو أن يأخذ الصحابي الحديث من صحابي آخر ، وعند روايته له يرفعه للنبي ﷺ مباشرة بدون ذكر الصحابي الواسطة ، وهذا مقبول عندهم ، ولايغير من صحة الحديث شيئا ، بخلاف مرسل غير الصحابي ، وذلك لأن الصحابة كلهم عدول ثقات صادقون مأمونون خيار .

[٢] – المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم ك العلم فصل في توقير العالم.. ١/ ٢١٦. والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ١٠٨.

[٣] – الطبراني في المعجم الكبير ١ / ٢٩٦ . المستدرك ك معرفة الصحابة باب ذكر مناقب أنس بن مالك ٣/ ٦٦٥.

[٤] – أخرجه البخاري ك التفسير باب سورة الطلاق ٤/ ١٨٦٦.

كِتَابُ الله، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ : قُلْتُ : فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ."[١]

وهناك من الصحابة كثيرون كانت لهم صحائف، منهم : عبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن أبي أوفى، وغيرهم كثير .

كما عرفوا القراءة على العالم والعرض عليه، وقد وضع البخاري ترجمة لباب من أبواب كتاب العلم ساق فيه مجموعة من الأقوال المؤيدة للعرض على الشيخ، وهو مايعرف بالقراءة على الشيخ فقال رحمه الله تعالى :" باب الْقِرَاءَةُ وَالْعَرْضُ عَلَى الْمُحَدِّثِ.

وَرَأَى الْحَسَنُ وَالثَّوْرِيُّ وَمَالِكٌ الْقِرَاءَةَ جَائِزَةً.وَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ بِحَدِيثِ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَذِهِ قِرَاءَةٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَخْبَرَ ضِمَامٌ قَوْمَهُ بِذَلِكَ فَأَجَازُوهُ.وَاحْتَجَّ مَالِكٌ بِالصَّكِّ يُقْرَأُ عَلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُونَ أَشْهَدَنَا فُلاَنٌ وَيُقْرَأُ ذَلِكَ قِرَاءَةً عَلَيْهِمْ وَيُقْرَأُ عَلَى الْمُقْرِئِ فَيَقُولُ الْقَارِئُ أَقْرَأَنِي فُلاَنٌ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْوَاسِطِيُّ عَنْ عَوْفٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : لاَ بَأْسَ بِالْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ.

وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرَبْرِيُّ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بْنُ مُوسَى عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ إِذَا قُرِئَ عَلَى الْمُحَدِّثِ فَلاَ بَأْسَ أَنْ يَقُولَ حَدَّثَنِي. قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ يَقُولُ: عَنْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ : الْقِرَاءَةُ عَلَى الْعَالِمِ وَقِرَاءَتُهُ سَوَاءٌ.[٢]

وترجم رحمه الله تعالى أيضا في ك العلم باب مَا يُذْكَرُ فِي الْمُنَاوَلَةِ وَكِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ إِلَى الْبُلْدَانِ.

وَقَالَ أَنَسٌ : نَسَخَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الآفَاقِ، وَرَأَى عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَمَالِكٌ ذَلِكَ جَائِزًا.وَاحْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي الْمُنَاوَلَةِ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ كَتَبَ لأَمِيرِ السَّرِيَّةِ كِتَابًا وَقَالَ : لاَ تَقْرَأْهُ حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا، وَكَذَا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ .

---

[١] – أخرجه البخاري ك العلم باب كتابة العلم ١/ ٥٣.

[٢] – صحيح البخاري ك العلم باب القراءة والعرض على المحدث ١/ ٣٤.

ثم ذكر بإسناده من حديث ابْن عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلاً وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ.[١]

وهكذا نرى أن تحمل الصحابة للحديث النبوي عن رسول الله ﷺ قد سلك طرقا كثيرة، عُرِفَت عند العلماء بطرق التحمل والأداء، وهي ثمانية أشرنا إلى بعضها مع أدلتها .

كيف نأخذ القرآن في زماننا هذا :

سبق أن بينا أن تلقي النبي ﷺ للقرآن عن جبريل عليه السلام، وتلقي الصحابة القرآن عن النبي ﷺ كان بطريقين اثنين فقط، السماع من لفظ الشيخ، والقراءة عليه، كما أنه قد ثبت من خلال الأدلة أن معظم أخذ الصحابة عن النبي ﷺ كان بواسطة سماعهم من لفظ سيدنا رسول الله ﷺ، ثم عرضوا عليه أحيانا .

فانحصرت سبل تلقي القرآن الكريم في هذين السبيلين فقط، وقد دار نقاش بين العلماء في أي الطريقين أولى بالأخذ في تلقي القرآن الكريم ؟

فنجد السيوطي رحمه الله تعالى في الاتقان يقدم القراءة والعرض على الشيخ .

فيقول رحمه الله تعالى : وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفا وخلفا، وأما السماع من لفظ الشيخ : فيحتمل أن يقال به هنا، لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي ﷺ، لكن لم يأخذ به أحد من القراء، والمنع فيه ظاهر، لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته، بخلاف الحديث، فإن المقصود فيه المعنى، أو اللفظ، لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن، وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي ﷺ لأنه نزل بلغتهم، ومما يدل للقراءة على الشيخ عرض النبي القرآن على جبريل في رمضان كل عام .[٢]

---

[١] – صحيح البخاري ك العلم صحيح البخاري ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ١/ ٣٥

[٢] الاتقان في علوم القرآن . الامام السيوطي ١/ ٢٦٥.

فالسيوطي هنا يقطع بأن القراءة على الشيخ هي الأولى، وأنها المستعملة سلفا وخلفا، لأن المقصود في قراءة القرآن بالذات ليس مجرد الحفظ فقط، وإنما دقة الأداء، فينبغي أن يؤدي المتلقي كما تلقاه عن شيخه بإتقان وإجادة، ولا يتأتي ذلك في السماع من لفظ الشيخ، ولا ينبغي أن ينظر هنا إلى أخذ الصحابة سماعا عن النبي ﷺ، لأن الصحابة رضي الله عنهم لهم خصائصهم في دقة الفهم، والطباع السليمة، والفصاحة البالغة التي تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من لفظ النبي ﷺ .

ويقول الإمام شهاب الدين القسطلاني رحمه الله تعالى : تنبيه : إعلم أن التحمل والأخذ عن المشايخ أنواع : منها السماع من لفظ الشيخ، ويحتمل أن يقال به هنا، لأن الصحابة إنما أخذوا القرآن من فيّ رسول الله ﷺ، ولكن لم يأخذ به أحد من القراء، والمنع ظاهر، لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته، بخلاف الحديث، فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ، لا الهيئات المعتبرة في أداء القراءة .. ومنها قراءة الطالب على الشيخ : وهو أثبت من الأول وأوكد، قال مالك : كما في الإلماع من طريق القعنبي : قراءتك عليّ أصح من قراءتي عليك، وقال ابن فارس : السامع أربط جأشا وأوعى قلبا .ا.هـ [١]

وقال الملا علي قاري : الأخذ عن الشيوخ على نوعين : أحدهما : أن يسمع من لسان المشايخ وهو طريقة المتقدمين وثانيهما : أن يقرأ في حضرتهم وهم يسمعونها، وهذا مسلك المتأخرين، واختلف أيهما أولى، والأظهر أن الطريقة الثانية بالنسبة إلى أهل زماننا أقرب إلى الحفظ .[٢]

يقول الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله تعالى : ثبت ثبوتا قطعيا لا يدع مجالا لشك أو ريبة أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن مصدرهم في حفظ القرآن بقراءاته وروايته الأخذ من المصحف، لأنه لم يكن وجد بعد، إنما كان مصدرهم في حفظه السماع من فيه الشريف ﷺ، والتلقي منه، والأخذ عنه، ومشافهتهم بالقرآن مباشرة مع حرصهم – الحرص كل الحرص – على حفظ وضبط كل ما يسمعونه في صدورهم،

---

١ – لطائف الاشارات لفنون القراءات للامام شهاب الدين القسطلاني ص١٨١ . ط المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٣٩٢ه/ ١٩٧٢م .

٢ – المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ملا علي قاري . ص٧٠/ ٧١. ت حسن عباس . مؤسسة قرطبة ٢٠٠٢ الطبعة الاولى .

وانتقاشه على صفحات قلوبهم، ولذلك مُدِحُوا بأن (أناجيلهم في صدورهم) يعني: أنهم يستظهرونه ويحفظونه عن ظهر قلب، وفي هذا إشارة إلى أن أهل الكتاب لايمكنهم أن يقرأوا إلا في الكتب من غير حفظ ولا استظهار .[١]

ويقول أ.د/ محمد حسن جبل رحمه الله :" .. لكن المراد بالتلقي في قراءة القرآن الكريم هي أن يأخذ طالب قراءة القرآن وحفظه عن مقرئه كيفية قراءة القرآن سماعا منه ليقرأه بتلك الكيفية، وتشمل الكيفية نطق الحروف من مخارجها متصفة بصفاتها، كما تشمل التزام القارئ لكيفية مايعتري الحروف والكلمات عند نطقها مركبة في القرآن الكريم من أحكام تستجد لها عند تركيبها بعضها مع بعض، مثل الإدغام، والقلقلة، والمد، والغنّ، والإمالة، والإشمام .. إلخ، وأضدادها بتفاصيلها كلٍ في موضعه، ويقع ذلك التلقي أصلا بأن يقرأ المقرئ مسمعا المتلقي القدر المراد وعيه، ثم يعيده المتلقي : في الحال إن كان القدر محدودا، وبعد حفظه أو كتابته إن كان القدر كبيرا، ولاتخفى العلاقة بين الإقراء والتلقي فالمتلقي هو محل الإقراء .

فهذا تصوير الحالة المأثورة في التلقي عن سيدنا رسول الله ﷺ، وهي الحالة المثلى، وقد ظلت هذه الحالة دهرا طويلا، حيث كان المقرئ يقرأ أولا أمام لقنائه، ثم يقرأونه من بعده كما كان ومازال يفعل في المدارس والكتاتيب الآن وفي إذاعة القرآن الكريم وغيرها، لكن مع تطور الأمر إلى الترديد خلف المقرئ جملة بعد جملة .."

ويقول أيضا :" والكيفية المأثورة للإقراء هي أن يَقرَأَ المعلمُ المقرئُ أولا أمام المتعلم خمس آيات أو نحوها، قال السخاوي : كان القراء في الأمر الأول يقرأ المعلم على المتعلم اقتداءا برسول الله ﷺ، فإنه كان يتلو كتاب الله عز وجل على الناس كما أمره الله عز وجل، وكذلك كان جبريل عليه السلام يعرضه على رسول الله ﷺ، كما قال الله عز وجل (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)، وكانوا يلقنونه من يتعلمه خمسا خمسا[٢].

والكيفية التي أدركناها في الكتاتيب ذات مرحلتين :

---

[١] – القراءات في نظر المستشرقين والملحدين . للشيخ عب الفتاح القاضي . ص ٧٥. دار السلام للطباعة النشر . الطبعة الاولى ١٤٢٦=٢٠٠٥.

[٢] – انتهي نقله من السخاوي جمال القراء ج ٢/ ٤٤٦

الأولى : أن يقرأ المعلم ويردد اللقين[١] وراءه، وذلك في قصار السور، ليتدرب المتعلم على كيفية قراءة القرآن، فإذا مَرَنَ لسان اللقين انتقل به المعلم إلى المرحلة الثانية : وهي أن يحدد المعلم للّقين قدرا من الآيات بأن يطلب منه أن يقرأ إلى آية معينة، وكان هذا القدر يسمى " إماما"، وبعض من في عصرنا يسميه " لوحا "، ويقرأ اللقين هذا اللوح عدة مرات أمام المعلم، والمعلم يصحح له ما أخطأ فيه، فإذا اطمأن المعلم إلى صحة قراءة اللقين اكتفى وطلب منه أن يحفظه، ثم يأتي اللقين في اليوم التالي ويقرأ أمام المعلم استظهارا ما سبق أن صححه أمامه، ثم يكلفه بلوح آخر وهكذا، وهذه الكيفية جائزة أيضا، وكذا كل كيفية تحقق قراءة القرآن قراءة صحيحة .[٢]

إن هذه النقول وغيرها توضح أن المنهج المتبع في التلقي في عصر سيدنا رسول الله ﷺ هو أنهم كان يسمعون قراءته ﷺ، وكان الصحابة من النجابة والذكاء والفطنة بحيث يؤدون القرآءة كما سمعوها من سيدنا رسول الله ﷺ بمنتهى الدقة والإتقان، أما بعد ذلك تطور الأمر إلى العرض على الشيخ، بمعنى أن يقرأ الطالب أولا على شيخه وشيخه يسمع، ويصحح له، ويصوب قراءته، ثم يستظهر الطالب القدر الذي عرضه على شيخه ويحفظه بدقة،ثم يعود إلى الشيخ ويعيد عليه ما حفظه،ثم ينتقل إلى قدر جديد وهكذا، حتى يتم حفظ القرآن الكريم، ويكاد العلماء يجمعون على أن هذه الطريقة الأخيرة هي الطريقة المثلى في تلقي وحفظ القرآن الكريم في زماننا هذا .

أما الحديث النبوي الشريف فقد تعددت فيه طرق الأخذ عن الشيوخ إلى ثمانية، وكلها صحيحة على ما عليه جمهور علماء الحديث، وإن كان بعض هذه الطرق أفضل من بعضها، وأقوى في إثبات التلقي والأخذ عن الشيوخ، وكثير من هذه الطرق لها صور متعددة، وهذه الطرق هي كالآتي حسب ترتيبها في القوة عند أهل الحديث :

أ- السماع على الشيخ

ب- القراءة والعرض عليه

---

[١] – أوضح الدكتور جبل رحمه الله إيثاره لكلمة اللقين فقال : كلمة " لقين " وضعتها أنا بدلا من كلمة " تلميذ " وجمعها " لُقَناء " لأن كلمة " لقين " أخص بتعليم العلم النظري الأدبي وتناسب الكبار ، في حين أن كلمة " تلميذ " أصلها سيرياني بمعنى صبي الصائغ .

[٢] – التلقي والأداء في القراءات القرآنية . أد/ محمد حسن جبل ص ٤٩. ط مكتبة الآداب ٢٠١١.

ت- الإجازة
ث- المناولة
ج- الكتابة
ح- الإعلام
خ- الوصية
د- الوِجادة

وقد جرت مقارنات بين هذه الصور وتقديم بعضها على الأخرى، ومحل ذلك في كتب علم مصطلح الحديث .

وفي نهاية ذلك المبحث نقول : إن هذه الأمة أمة الإسلام من خلال علمائها النابهين النابغين المخلصين قد حافظوا على القرآن الكريم والسنة المطهرة، وصار الاثنان معاً في حلقات متواصلة من الصيانة والحفظ، وكل جيل أدى الأمانة كاملة غير -منقوصة للجيل الذي بعده، وسيظل هذا الأمر بإذن الله تعالى إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين .

نتائج البحث

١- أن القرآن الكريم سار في حلقات متواصلة من الصيانة والحفظ والإتقان منذ أن تلقاه رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى، ثم أداه الصحابة رضوان الله عليهم كما تلقوه عن رسول الله ﷺ، وهكذا ملايين من البشر- تتحمله عن ملايين من البشر إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٢- أن الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ حفظوا القرآن الكريم في صدورهم، ودونوه في سطورهم، ثم جُمِعَ الجمع الأول في عهد الخليفة العظيم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم الجمع الثاني الذي كتب الله تعالى له القبول والاستمرار وانعقد إجماع الأمة عليه منذ عصر ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٣- أن أغلب علماء القرآن والقراءات يتجهون إلى أن التلقي الأمثل للقرآن الكريم إنما يكون بالعرض على الشيخ بمعنى أن يقرأ الطالب والشيخ يسمع، فذلك أدعى للإتقان الشديد، وقدموا ذلك على السماع من الشيخ لأن المقصود في القرآن الكريم ليس سلامة الحفظ فقط، إنما جودة القراءة وصحة الأداء، وذلك يتحقق في العرض على الشيخ .

٤- هناك من العلماء من رأى ضرورة الجمع بين الأسلوبين :السماع من الشيخ والقراءة عليه، وهناك من لم ير بأسا بالسماع من الشيخ وذلك لمن تمكن من الحفظ والأداء السليم .

٥- إن الأمة مطالبة بالحفاظ على ذلك المنهج الذي توارثوه منذ عهد النبي ﷺ،فلا يسمحون لأحد أبدا بأن يخرج عن ذلك، بأن يحفظ من المصحف مباشرة، أو عن طريق أشرطة التسجيل مثلا، والواقع يؤكد أن من اتبع ذلك يخطئ كثيرا في تلاوته مهما كانت درجة تعليمه، ومهما كان يحمل من المؤهلات العلمية .

٦- من أراد حفظ القرآن الكريم فعليه أن يذهب للمشايخ للتلقي عنهم، ولا يستنكف من ذلك .

٧- لا يتصدى للإلقاء والإقراء والتلقين إلا من وصل إلى مرتبة الإمامة وحاز من العلوم المتعددة والمعارف المتنوعة المتصلة بتخصصه ما يؤهله لذلك .

٨- أن الله تعالى رزق هذه الأمة علماء مخلصين وجهابذة متقنين، حافظوا على الأمانة وأدوها كاملة، كل جيل حملها وسلمها نقية لا شبهة فيها، واضحة لا غبش

حولها، فوصل إلينا القرآن الكريم كما تلقاه رسول الله ﷺ من جبريل عن رب العزة سبحانه، ووصلت إلينا السنة المطهرة صحيحة دقيقة بفضل الله رب العالمين .

٩- أن التلقي في القرآن الكريم انحصر في وسيلتين وهما : السماع من الشيخ، والعرض على الشيخ، أما السنة المطهرة فقد تعددت فيها طرق التحمل والأداء ووصلت إلى ثمانية عند أهل العلم المتخصصين في السنة .

فهرس

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
مقدمة	٢٤٨
أهمية القرآن الكريم والسنة المطهرة	٢٥٠
حث النبي ﷺ الأمة على حفظ القرآن الكـريم ، وعـلى حفـظ الحـديث الشـريف ، وتبليغ كل جيل لمن بعده بالقرآن والسنة إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها	٢٥٢
الحث على تبليغ القرآن والسنة :	٢٥٤
أهمية الرواية	٢٥٥
ضرورات الرواية الشرعية ، والعقلية ، والواقعية	٢٥٦
تعريف الرواية	٢٥٧
مفهوم التلقي لغة واصطلاحا	٢٥٧
صور الوحي :	٢٦٠
كيف تلقى الصحابة القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ	٢٦٤
تلقي الصحابة رضي الله عنهم للحديث الشريف :	٢٦٦
كيف نأخذ القرآن في زماننا هذا	٢٦٩
نتائج البحث	٢٧٤
الفهرس	٢٧٦